قصائدي وهكذا تلقيت اولى عينات النقد الادبي الغائل الساهي » .

مدخل الشعر هذا يبقى ناقصا اذا لم نضف اليه ، حب الطبيعة الذي يبلغ حدا كبيرا ، ينظر نيرودا الى الطبيعة بوصفها امتدادا للانسان . هكذا تصبح الاشجار والنباتات البرية والحقول والادغال وحدة كونية كبرى ، يقف الانسان في وسطها ، ابنا لها ، وطفلا يتدرج في محبتها . نكتشف في هذا الكتاب جميع انواع النباتات التي تحفل بها جبال تشيلي الجميلة والتي في منحدراتها ، كتب نيرودا قصة هربه من الطغيان بعد طرده من البرلمان ، ثم لاجلها ، كتب اجمل قصائده .

يقود هذا الوله بالطبيعة الى وله آخر . حب السفر الذي يؤمنها منصب دبلوماسي يحصل عليه الشاعر ، نتيجة شهرته الشعرية المبكرة . في رانغون وسنغابور ، في مدن الهند الداخلية ، يكتشف نيرودا الانسان المسحوق . انسان الشرق الذي تستعبده الامبريالية وتمارس سحق روحه الثورية . هنا يصبح نيرودا مناضلا ديمقراطيا . يزداد احساسه بالظلم الاجتماعي والسياسي الذي يمارسه الامبرياليون . لكنه لن يصبح ثوريا الا في اسبانيا ، حيث عين قنصلا في مدريد . هناك سيلتقي بلوركا والبرتي وسيعاين سقوط الجمهورية الاسبانية بيد الكتائب الفرنكوية الفاشية . وسيكتب ديوانه الجميل « اسبانيا في القلب » .

في اسبانيا ، بدأت صداقة نيرودا ولوركا ، لتنتهي بمرثية كتبها نيرودا بعد مقتل صديقه الشاعر الاسباني الجميل : « واي شاعر ! ابدا لم أر شاعرا مثله اجتمعت فيه اللطافة والعبقرية، القلب المجنح والشلال الشفاف . لقد كان فيديريكو غارثيا لوركا العبقري المسرف في وحيه والهامه ، بؤرة الفرح التي تشع كالكوكب بسعادة الحياة . كان نابغة وفكها ، كونيا وريفيا ، موسيقيا فذا ، ممثلا رائعا ، فزعا ومعتقدا بالخرافات ، لامعا ونبيلا ، كان خلاصة اعمار اسبانيا وعهودها ، صفوة الازدهار الشعبي ، نتاجا عربيا — اندلسيا ينير ويفوح مثل أيكة ياسمين على مسرح اسبانيا ، كان كل هذا ... »

كان مقتل لوركا المفجع ، علامة على الزمن الفاشي الذي يسحق الثقافة ويقتل الكادحين بهمجية . لذلك كانت الثورة الاسبانية ، ثورة جنود الجمهورية والفصائل الامية تحمل النقيض الفعلي للدمار الفاشي . هكذا ولد ديوان نيرودا « اسبانيا في القلب » طبعه الجنود في الجبهة بعد أن صنعوا ورقه بشكل حرفي وحملوه على اكتافهم في رحلة الهزيمة الى فرنسا . هذا المعنى ، الذي يقدمه الجنود في الصف الامامي من القتال ، يؤشر الى الدور الذي يستطيع الشاعر ان يلعبه في مراحل التوهج الثورية ، حين تصبح كلماته ، سلاحا آخر في جبهة القتال .

في لهب اسبانيا ، تعمدت الثقافة الغربية بأسرها في دماء الشعراء والعمال . وأصبح الانحياز السياسي والطبقي عنوان مرحلة ثقافية كاملة . وفي هذا اللهب خرج نيرودا مناضلا في صفوف الطبقة العاملة ، ليلعب دوره بوصفه شاعرا ومناضلا أمميا . هنا نتعرف مع نيرودا على العالم بشكل جديد،من خلال العلاقة بالادباء الثوريين في الخارج. كما نتعرف على التشيلي بنضالات عمالها ، ويدور الشاعر بوصفه نائبا في البرلمان ، لاكثر قطاعات تشيلي فقرا . حتى نصل الى النهاية المفجعة ، الى تجربة الوحدة الشعبية التي أنهاها الفاشيون حين قصفوا قصر الرئاسة ، وقتلوا أليندي : « لقد كان لهم ان ينتهزوا هذه الفرصة النادرة ، كان لا بد من افراغ الرصاص من الرشاشات في جسده فهو لن يتخلى ابدا عن منصبه . فدفن ذلك الجسد سرا في مكان ما . لقد مضى ذلك الجثمان الى اللحد لا يصاحبه الا امرأة واحدة وحيدة تحمل في نفسها الم العالم كله ، ان تلك الشخصية المجيدة كانت تمضي وهي مخرقة برصاص رشاشات عساكر تشيلي الذين خانوا تشيلي مرة اخرى » .

وبعد ايام قليلة سوف تطوى حياة نيرودا ، وينتهي هو الاخر الى جانب صديقه ، في جوف الارض ، تاركين تشيلي مرة اخرى للعصبة الفاشية ، لكنهما يتركان هذه المرة تجربة غنية لعرس الموت الجماعي ، الذي سوف يدشن بداية ثورية جديدة .

نخرج من مذكرات نيرودا ، من مأساوية النهاية، لنكتشف البداية .هذا الوله الغريب بالحياة . حب الحياة بشكل جنوني ، هو القوة السحرية التي جعلت من هذا الشاعر احد عناوين عصرنا . يقذف نفسه الى بحر الحياة بلا خوف ، يعارك الموج ،